"مخطوط رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي إلى " أولاد داود"

أ/ آدب ولد سيد امحمد

جامعة نواكشوط

الملخص: يعد تحقيق المخطوطات ودراستها من أهم ما يقوم به الباحثون في مجال العلوم الإنسانية بشكل عام وفي مجال التاريخ بشكل خاص، وذلك لما لهذا المصدر من ثراء في معطيات مختلفة تمس وضع الساكنة على مر العصور، ويتطلب هذا الجهد البحث عن المخطوط أصلا، وما يمكن إيجاده من نسخ له، ودراسته، وتحقيقه؛ حتى يكون في متناول الجمهور، والنص الذي بين أيدينا لا يخرج عن هذا السياق غير أنه من نصوص نادرة تعالج همّا صعبا ونادرا هو الآخر إذ يعالج الواقع السياسي لمجموعات قبلية منتمية للفضاء الشنقيطي. وكمامر فهو رسالة تدخل في إطار مقاربة لمؤلفه لوأد الفتنة وإبرام الصلح بين قبيلتين من منطقة الحوض.

وقد مارس هذا المخطوط دورا مهما في وقف الفتنة، ويأتي ضمن نموذج من رسائل دأبشيوخ الزاوية الكنتية الأزوادية على بعثها إلى شيوخ القبائل لوقف التناحر، خاصة في بلاد شنقيط، وفي غيرها من البلدان الأخرى المجاورة.

وتدل هذه الرسالة ونظيراتها إلى حضور فكر الإصلاح، والاهتمام بالسياسة في المنظومة الفكرية لسكان الساحل والصحراء، في المخطوط العربي بعامةولدى صاحب المخطوط السيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بخاصة.

Résumé

L'annotation et l'étude des manuscrits sont une tâche importante pour les chercheurs en sciences sociales d'une façon générale et pour ceux de l'histoire d'une manière particulière car le manuscrits est un trésor eu égard aux diversités des thèmes qu'il aborde et aux informations qu'il contient.

Le texte que nous venons d'annoter et d'étudier est un manuscritrare du fait de son thème qui traite la vie politique entre les communautés tribale de Bilad Chinguetti. C'est une correspondancede l'auteur pour enlever le discorde et arrêter les guerres entre deux tribus de Mauritanie qui habitent le Hodh. Cette correspondance a joué un rôle important dans l'arrêt des hostilités entre ces deux tribus.

Ce manuscrit fait partie d'une multitude de correspondances que les Chefs de la Zaouya El Koutya El Azawadya ont eu l'habitude d'envoyer aux tribus pour s'imposer dans les conflits récurrents en pays maure. C'est aussi une autre dimension de des idées et des connaissances religieuses très rependues dans le Sahel et le Sahara à cette époque surtout chez l'auteur du manuscrit Cheikh Sidi Mohamed el Kalifa El Kounti.

المقدمة:

إن الكم الهائل من المخطوطات الذي خلفهَ لنا أجدادنا غير معروف ويكاد يكون مجهولا إلى حَدٍ ما، والحقيقة أنتراثنا الموريتاني أو الشنقيطي لايقل شأنا عن تراث الأمم الأخرى، وهذه المخطوطات من أهم مكونات تراثنا الذي نعتز به، لقد ظهرت المخطوطات في ظل الازدهار الثقافي الذي عرفته البلاد وانتشار المحاضر، وتفرغ الزوايا لتدريس العلم ونشر المعارف، وفي غضون ذلك الازدهار الثقافي بدأت حركة التأليف تتسع وتشمل كافة العلوم سواء الشرعية منها أو العلوم الفلكية واللغوية والتاريخية دون إهمال الاهتمام بعلم الأنساب والتراجم الشخصية ووفيات الأعيان، والوقائع المشهورة من حروب بين الإمارات وداخل الإمارة الواحدة، وبين القبائل الزاوية وغيرها، وعلى هذا الأساس قامت الدولة بإنشاء مؤسسة وطنية مكلفة بحفظ التراث الثقافي أطلقت عليها المعهد الموريتاني للبحث العلمي سنة 1975م.

وقد تمكنت هذه المؤسسة من جمع رصيد هائل يقدر 60000 مخطوط خلال خمسة أعوام من 1975 إلى 1980م، وقد اعتمد هذا المعهد غداة إنشائه خطة استعجالية لإنقاذ المخطوطات واقتنائها مجانا أو بشرائها، فتمّ التنازل عن آلاف من المخطوطات القيمة أو حتى عن مكتباتكاملة مقابل ثمن زهيد.

وقد تكللت هذه العملية بنجاح، وهو ما جعل المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية يسعى إلى انتهاج نفس الأسلوب سنة 1988م، وحصل على كميات مهمة من المخطوطات بلغت زهاء 2500 مخطوط، ويبقى جزء مهم من هذه المخطوطات بحوزة الأهالي لم يتسنّ الكشف عنه.

إننا أمام وضع صعب في اتباع طرق ومناهج لهذه المخطوطات، قصد كتابة سليمة لتاريخنا تعتمد على مخطوطاتنا الكثيرة والمتنوعة، وذلك يتطلب إعدادها وتنقيحها وغربلتها لجعلها في متناول الجميع من باحثين وطلبة إلى غير ذلك.

إن إهمال دراسة وتحقيق مخطوطاتنا هو اغتيال لوجداننا الحضاري العميق، إن من أهداف اختيارنا تحقيق "مخطوط رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة إلى أولاد داود":

-الإسهام بقدر المستطاع في كتابة تاريخ هذا البلد وإحياء كنوز تراثه، وذلك بإخراج نصوصه التاريخية التي كتبها علماؤه إخراجا يحترم مقاييس التحقيق مما يجعلها جاهزة أمام الباحثين.

-ندرة هذا النوع من المخطوطات التي تهتم بالإصلاح السياسي والسلم الأهلي للمجموعات القبلية، فقد عوّدَنا علماؤنا من السلف على اهتمامهم بالفقه من عبادات، ومعاملات، وأحاديث الصحيح منها والضعيف، وابتعدوا -غالبا- عن الواقع السياسي للدول والملوك والأمراء والمجموعات القبلية.

-نوعية النص فهو من النصوص النادرة التي تعكس الأوضاع السياسية السائدة آنذاك، ذلك أن رسالة المخطوط تدخل في إطار مقاربة لمؤلف الرسالة لوأد الفتنة وإيقاع الصلح بين قبائل منطقة الحوض، وهي توحي باهتمام سلفنا الصالح بالأوضاع الأمنية في تلك الفترة، وهو مايمكن أن نستفيد من تجاربه اليوم خاصة في ظل الحديث عن الإرهاب والمقاربات الأمنية في بلادنا والدول الشقيقة والصديقة المجاورة في المغرب العربي ودول غرب إفريقيا.

-رغبتي في أن لايضيع المخطوط وإجلاء غوامضه ومايحتوي عليه.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط على نسختين:

-الأولى حصلت عليها من عند "أحمد فال ولد حيبله" وهو كنتي من منطقة الحوض الشرقي.

-الثانية حصلت عليها مصورة من مركز الشيخ سيد المختار الكنتي للوثائق بمدينة "كَاو" بجمهورية مالي الشقيقة.

والنسختان متقاربتان حجما، وهما من الحجم المتوسط.

وبناءً على ذلك فقد اتبعت في التحقيق المخطوط المنهجية التالية:

-أولا: ترجمة عن مؤلف رسالة المخطوط وقد تطلب ذلك الاعتماد على المصادر والمراجع التي تناولت شيئا عن حياته وأدواره المختلفة.

-ثانيا: نبذة عن المرسلة إليهم وهو مايستدعي الحديث عن قبيلة أولاد داود وزعمائها السياسيين آنذاك.

ثالثا: أهم ما احتوته الرسالة من مضامين.

أولا: ترجمة مؤلف الرسالة:

هو سيد محمد الملقب (بالشيخ سيد محمد الخليفة) بن الشيخ سيد المختار بن احمد بن أبي بكر بن محمد حبيب الله بن الوافي ابن سيد أعمر الشيخ بن سيد أحمد البكاي بن سيد امحمد الكنتي، وهو الابن الخامس لأبيه الشيخ سيد المختار الكنتي وأمه "لالهْ عيشه بنت سيد المختار بن سيد الأمين الأزرق الكنتية" (1160-1224 هجري)[1].

[1]- الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار، الرسالة الغلاوية، دراسة وتحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات أمربيه رب لإحياء التراث والتبادل الثقافي، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، 2007م، صص 12.11

ولد سنة 1175هجري الموافق 1765م بمنطقة أزواد شمال تيمبكتو. قضى معظم طفولته إلى جوار والدته وقد كانت هذه المنطقة القاعدة المركزية لقبيلة كنتة منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي[1].

ولقب الكنتي هو نسبة إلى قبيلة كنتَ، وكان أول من حمل هذا اللقب من أجداده سيد امحمد الكنتي بن علي اكتسبه من اسم جد أمه "أهوى بنت محمد العالم بن كنت بن زم"، زعيم قبيلة ابدو كل الصنهاجية[2].

نشأ الشيخ سيد محمد وسط الزاوية الكنتية وتربى في كنف والده في بيت من أكبر بيوتات العلم والسيادة في غرب الصحراء، ولا يعرف عنه الشيء الكثير، غير أن ورعه وعلمه قد جذبا إليه انتباه والده، ولهذا اصطفاه ليخلفه عند موته في عام 1811م[3].

ولم تكن هذه الخلافة تقتصر على مسؤولية زعامة الطريقة القادرية بالصحراء والسودانيين الغربي والأوسط فقط، بل تتعداه لتشمل مسؤولية قبائل كنته، وكان من الأسباب التي جعلت والده وشيخه المختار الكنتي يختاره ليكون خليفته:

-أولا: الورع والتقوى الذي كان يتميز به أعلى من باقي إخوته، فقد ذكر بول مارتي أن ورعه ونبوغه اجتذب انتباه والده ولهذا اصطفاه ليخلفه بعد موته.

-ثانيا: كونه عالما جليلا وصوفيا متبحرا، أخذ عنه علماء كثيرون[4].

---

[1]- الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي ، الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط، الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم690، ص162.

[2]-الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، جنة المريد دون المريد، تحقيق ، محمد المهداوي ، منشورات الرابطة المحمدية ، 2012م، ص21.

[3] - بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعةزيد ابن ثابت، دمشق، 1985م، ص79

[4]- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة...والرباط، تونس، 1987م، ص 516

-ثالثا: مكانته المتميزة لدى قبائل كنتة والقبائل الأخرى، حيث كان يتدخل للإصلاح بين ذات البين بين مجموعة من القبائل، كما فعل حين أصلح بين رئيس لبرابيش علي بن محمد بن رحال وأبي بكر ابن الشين الترمذي سنة 1205 هـ.

-رابعا: اتباعه سمت شيخه الوالد، وتتبعه لجميع خطواته ويظهر هذا الامر جليا من خلال الرسائل التي تبادلوها فيما بينهم خاصة أثناء دخول المؤلف سلك الرياضة الروحية والتكوين العلمي[1].

يقول بول مارتي عنه "أن له نفسية متفتحة ومثقف شديد الذكاء، ويخلده التاريخ بمظهر أكثر الوجوه جاذبية"[2].

كان الشيخ سيدي محمد فعلا خليفة لوالده في العلم والورع والتصوف فهو عالم جليل وشيخ صوفي ذو مكانة مرموقة وعلَم من أعلام موريتانيا ذو صيت واسع وتأثير عميق[3].

وقد بلغت الزاوية المختارية أوج عطائها المعرفي في هذه المرحلة على يد والده الشيخ سيدالمختار الكنتي الكبير، فأفاد منه كثيرا وتخرج في سائر الفنون والعلوم، وكان من مظاهر هذه المرحلة الزاهية من حياة الزاوية القادرية المختارية الكنتية، ذلك الاقبال الذي عرفته من لدن الطلاب النابهين والعلماء العاملين للقاء أستاذهم وشيخهم المختار الكنتي الكبير، ولم يكن مترجَمنا ليضيع هذه الفرصة الثمينة للاستفادة من هؤلاء الشيوخ الوافدين من شتى البلدان.

---

[1]- جنة المريد، مصدر سابق، ص 141

[2]- كنتة الشرقيون ، مرجع سابق ، ص82

[3]- الشيخ سيد المختار الصغير بن الشيخ سيد محمد، الرسالة العلوية، تحقيق سيد احمد ولد احمد السالم، نواكشوط 1994، ص 5 – 6

ولا تذكر المصادر شيئا من حياته الأولى وطلبه للعلم، وربما كان ذلك راجعا إلى أن المترجم له لم يصنف أي شيء حول سيرته الذاتية، كما أنه لم يرحل في طلب العلم إلى أي جهة من جهات البلاد الشنقيطية، يتضح ذلك من خلال ترجمة العالم الولاتي المحجوبي في مصنفه المشهور: "منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور" قال عنه: "كان رحمه الله تعالى من أولياء الله العارفين....، كاملا، تقيا، عابدا، ورعا، زاهدا، عالما، فقيها، جمع بين الشريعة والحقيقة له كرامات كثيرة وخوارق وعادات، وكان صوفيا أديبا، لبيبا، عاقلا، فطنا، وكان يقوم الليل كله، ذا جد واجتهاد ولزوم وأذكار، أخذ العلوم والأدب عن أبيه وشيخه سيدي المختار، جمع العلوم كلها: فقها وحديثا وتفسيرا..، قام بعد ابيه بتربية المريدين وجلب المنافع للخلق، وكان كريما سخيا عفيفا[1].

كانت تصانيف الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي من خيرة التصانيف في الصحراء الكبرى والسودان الغربي على الإطلاق ولم نر أحدا يطعن في ذلك، وصنف في جميع أنواع العلوم لا سيما التصوف والأصول والسياسة والفلك، وقد أولى بعض تلامذته عناية خاصة لمؤلفات شيخهم سيد محمد، وكان سيدَه الكبير من أكثر خريجي الزاوية الكنتية عناية بمؤلفات شيخه نسخا ورواية وفهرسة، لقد وضع الشيخ سيدي الكبير لمؤلفات شيخه الشيخ سيد محمد الخليفة أكمل اللوائح وأكثرها دقة وضبطا، وفي

[1]- أبوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، دراسة وتحقيق الهادي الدالي المبروك، د.ط، ص 69

صدر اللائحة يُنَبِهُ الشيخ سيدي على أنه لم يذكر في اللائحة إلا ما وقف عليه شخصيا أو سمعه من شيخه الكنتي مشافهة[1].

للشيخ سيد محمد عدة تصانيف والمتداول منها اليوم:

-إرشاد السالك إل بأقوم المسالك.في الفقه

-علم اليقين وسنن المتقين لحسم الاتاوة المزورة بحق المستحقين.في الفقه أيضا.

-الروض الخصيب: شرح نفح الطبيب في الصلاة على النبي الحبيب لوالده.

-شرح الأسرار.

-الأجوبة الفلانية في الفقه

-الشرح الصغير المسمى كفاية الكبير عن الشرح الكبير

-الفوائد النورانية والفرائد السنية الرحمانية في شرح الاسم الأعظم نشره تزويرا باسمه الطوخي الفلكي تحت عنوان "الاسم الأعظم".

-العقد النظيم في أقوال العلماء في الاسم الأعظم.

-الرسالة الغلاوية،

-الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد ،

- منهج الفعال. وهو شرح نظم لورقات إمام الحرمين الجويني في علم الأصول واسمه "ترجمان المقال ورافع الإشكال"،

-الوسيلة الكبرى في إصلاح الدين والدنيا والأخرى،

-الفتحات اللدنية: الأشعريات في التصوف،

---

[1]- الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار ، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، مصدر سابق، نقلا عن مؤلفات الشيخ سيد محمد الخليفة (مخطوط) ص23.

-مهجة النفوس في علم الكلام،

-اقليد الكنوز على ما في الياقوت من الرموز،

-الفتوحات الدنياوية الاشعريات في شرح الصلاة الناصرية الدرعية،

-بغية النص،

-النصيحة المحمودة والعظة المصمودة (نظم في التوجيه)،

-فتح القدوس (نظم لكتاب الشموس الاحمدية لوالده في التوجيه)،

-نظم مثلث خالي الوسط.في أسرار الحروف،

-رسالة إلى مريد في التصوف،

-جنة المريد في التصوف،

-السلم الأسني إلى أسماء الله الحسنى في التوحيد،

-كتاب الأسرار في التصوف،

-الإشارات الإرادية في التصوف،

-الصوارم الهندية في حسمدعاوى المهدية،

-أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام(أدب الملوك)،

-السراج النفيس. في التصوف،

- طرد الذم عن تباك والشم.في الفقه،

-ديوان شعر،

-مجموعة من الرسائل[1].

وله كذلك –وقد يكون بعضها لأبيه وكلها في خزانة الرباط– " الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الاوراد " والاجوبة المهمة لمن له في أمر دينه همة إلى غير ذلك[1].

---

[1]- الشيخ سيد المختار الصغير، مصدر سابق، ص 30، 31

توفي على إثر مرض ألمّ به، بسبب انتشار جائحة من الحمى يوم العاشر من ماي سنة 1242هـ/1826م ودفن إلى جانب والده في بوالأنوار، وهو بئر واقع على مسافة 200 كلم شمال "بمبا" وعلى مسافة 100 كلم جنوب المبروك وقد حول صلاحه هذه المنطقة إلى مكان يقصد للزيارة[2].

ومن خلال القصائد التي مدح بها العلامة ابن انبوجه التيشيتي الشيخ سيدي محمد الخليفة تتضح المكانة الاخلاقية الرفيعة والمتميزة التي كان يتمتع بها، ومنها قصيدته من البحر الطويل وهذه بعض أبياتها:

منيب إلى المولى الجليل وشأوهإلى العرف والفعل الجميل بعيد
له المجد عرش والسماحة والتقىجليساه صفح إن حفاه بليد
أبا السيد المختار جزت المدى فهلبمثلك ايام الزمان تجود
وهل لي حظ يغلب الدهر فيكلناحيتي نحو الوصول رقيد
قصدتك يا قطب الوجود فليس ليومجدك مجد خلفته جدود
فصيتك صيت شاع في كل من السؤدد العالي وأنت وحيد[3].

ثانيا:المرسلة إليهم

أولاد داود: تعتبر قبيلة أولاد داود من أهم قبائل البيضان التي تعمر أرض موريتانيا، فهي قبيلة مستقلة، تنتمي إلى داود بن أعروك، تسكن في باسكنو[4]، ويشمل اسم أولاد داود بن أعروق خمس قبائل، تنتجع في الشمال الشرقي وفي غرب وجنوب غرب إقليم افاكَيبين، وأصبحت هذه

---

[1]- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط 17، 2007، جزء7، ص 92

[2]- كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 82

[3]- ابن انبوجه التيشيتي، ضالة الأديب، تحقيق ودراسة أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربيةوالعلوم والثقافة، 1996م، ص 183.

[4]- مجموعة من المؤلفين، حوليات ولاتة، تحقيق، سيد عبد الله بن البخاري، جامعة نواكشوط ، 1992م، ص25.

القبائل منذ تفككها معروفة بصورة أكثر شيوعا، تحت أسمائها الخاصة بها أي أولاد علوش وأهل بوردة وأولاد زيد وأجعافرة[1] ولهم أصل مشترك، إذ ينحدرونجميعا من داود بن عروق بن أودي بن حسان [2].

وسوف نركز على ذرية علوش بن داود بن عروق وذلك راجع إلى أن مخطوط الرسالة يركز على الشخصيات القيادية لأولاد علوش كهنون ولد بيده وابنه بيده، وقد كان أولاد علوش بعد يوم " تكَلط" أهل بقر تيامنوا، وأهل إبل تياسروا. فكثر هؤلاء وكوَّنوا بعدَ حين رئاسة عامة على أولاد داود، كانت تديرها عائلة أهل بوموسى (من الِعْثَامْنَه) [3]، ولاتنقل لنا الرواية سوى القليل من المعلومات عن علوش الذي عاش في القرن السادس عشر ويقال أنه جاء من الجنوب المغربي وبلغ ولاتة التي لم يكن فيها حينذاك سوى المحاجيب أو على الأقل كانت السيطرة لهم، ودخل في خصام مع السكان الحضر في ولاتة، ومع أهل الجنوب، وذهب بعد ذلك إلى تيشيت حيث توفي فيها[4].

وابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر وبالخصوص مع بيده بن باب أحمد نجد بعض المعلومات التي بدأت في الظهور، ومنها أنه شن حروبا شعواء على أهل الحوض ومات في باسكنو حوالي 1805م ودفن بها، واعتمادا على كتاب الطرائف للشيخ سيد محمد الخليفة، فقد خضع بيده

---

[1]- أبناء داود بن أعروق ستة هم: عقبة وزيد وجعفر وعلوشومٌ وسعيد، حسب الحسوة البيسانية للعلامة صالح بن عبد الوهاب الناصري.

[2]- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحلالموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السراح، بيروت، لبنان، 2005م، ص26.

[3]- المختار ولد حامد، موسوعة موريتانيا، الجزء السياسي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 2000م ، 170

[4]- بول مارتي ، القبائل البيضانية ، مرجع سابق، ص 30

شأن معاصريه للتأثير الروحي للشيخ الكنتي الشهير الشيخ سيد المختار الكبير، فقد مارس هذ الشيخ في عدة مناسبات نفوذه السلمي على هؤلاء المحاربين المحترفين وأنقذ عدة خيام من البرابيش المطاردين من قبل أولاد علوش بعد لجوئهم إلى مخيمه، وحصل على تنازل عام بشأنهم، وفي هذه الفترة نهاية القرن الثامن عشر الميلادي احتل أولاد علوش الأراضي التي يسكنونها اليوم، ابتداء من باسكنو حتى افاكَيبين، وأخافوا كل المنطقةبدءا من سُكولو الواقعة على نهر النيجر الأوسط.

وقد خلف هنون بن بيده والده بيده بن باب أحمد حوالي عام 1805م، ومات حوالي عام 1825م خلال حملة في منطقة الظهر حيث جرى دفنه هناك[1]، وكانتفترة حكمه متميزة بالحروب مع قبائل الحوض حيثأوقع بجمان يوم (زَوْغْ الْحَامي) ويوم (آكْرَيْبَات) قتل من أجمان بوبَّاجه بن محمد الأمين بن عبد الدايم، كما انتصر على أولاد محمد (باحمد) معركة (كبدة) 1233 هجري– 1817م، حيث قتل منهم عددا كثيرا منهم أحمد بن كعبوش، وأعلي بن الشين، ولكنه أنكسر في جيكَي 1233هجري في رجب وقتل فيها المختار بن هنون بن بيده، وزَرْكَاكَه في تاسع من ذي العقدة 1233 هجري [2]، كما حدثت في زمنه حربه مع لادم والتي تتنزل الرسالة التي نقوم بتحقيقها في موضوعها، ويعتبر هنون ولد بيده من أعظم رؤساء أولاد داود على الإطلاق وفي عهده تنامت علاقاته بالزاوية الكنتية ولا أدل على ذلك من الرسائل المتبادلة بينه والشيوخ الزاويةومن

[1]- بول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 31

[2]- المختار ولد حامد، مصدر سابق، ص 172

أمثلتها الرسالة التي يرد بها الشيخ سيد المختار الكبير على رسالته في قضية انتقال أولاد داود إلى أرض أزواد[1].

وقد خلف هنون إبنه بيدهوالذي سيخلفه أخوه سيدي الذي طالت رئاسته كمثل أبيه هنون، وقد استمر في الحروب ذاتها التي كان يقوم بها والده هنون وبلغ به بُعْدُ غزوه أن أصطدم بأولاد ادليم بين آدرار (التمر) ووادي الذهب ، حيث تحتفظ الرواية بذكرى معركة تورين الكبرى بين الجانبين، وهو الذي بنى قرية آغريجيت قرب تيشيت حوالي عام 1850م وزودها بآبار وزريبة، وأسكن فيها عبد الله بن المختار الذي التحق به بعد ذلك أناس من أولاد بله، وقد أثنى سكان منطقة الساحل الثناء العاطر على سيدي بن هنون لإنشائه قرية آغريجيت هذه. وقد توفي عام 1857م [2].

وقد وصف الشيخ سيد محمد الخليفة أولاد داود بسور الحوض في إشارة إلى طبيعتهم الحربية وموقعهم الجغرافي الذي يمثل القوة الرئيسية التي تتولى حماية منطقة الحوض في مواجهة القوى الأزوادية.

ثالثا: مضمون المخطوط:

سبب الرسالة هو الحرب التي دارت بين قبيلة "أولاد داود ولادم"، واسمها المتعارف عليه رسالة " أولاد داود" ويرجع تاريخ إرسالها إلى بداية القرن التاسع عشر (19م)، وهي موجهة أساسا إلى رؤساء أولاد داود هنون ولد بيده وابنه بيده.

لقد بدأ المؤلف على عادة أسلافه بحمد الله ثم الصلاة على الرسول الحبيب، ليصل إلى المعنيين قبيلة "أولاد داود" خصوصا رئيسها "هنون ولد بيده وابنه بيده " بلغة جميلة وقوية. وذلك لثنيهم عن الاقتتال مع "لادم".

---

[1]- رسالة الشيخ سيد المختار الكبير إلى رئيس أولاد داود، من دون تصنيف أوترقيم

[2]- بول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 32

وتؤكد رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة إلى أولاد داود تلك العلاقةَ القوية والمتينة التي كانت تربطه بتلك القبيلة، ولا سيما رئيسها هنون ولد بيده وابنه بيده وهو ما ساعد على وقوع الصلح فيقول:

("من عبد ربه محمد بن المختار إلى أخص الأحباب هنون ولد بيده وابنه بيده ثم إلى سائر جماعة أولاد داود وبعد ياهنون فإنه لم يبلغني عنك فيما مضى ولم أطلع عليه فيك من فساد الرأي وسوء التدبير مابلغني عنك منذ عام أول من التكالب على هذه الحرب المشؤومة بينك وبين "لادم" ومع يقيننا أن حزبهم من أولاد أمبارك لايسلمهم لك، ولن يقاتل معك لزعمهم أنك متى غلبت "ادغموس لادم" طاولتهم وصاولتهم، فهم لذلك يكرهون غلبتك ،ولولا ما رددنا من البرابيش والتوارك لرموك عن قوس واحدة لزعمهم أنك غدرت بهم ونقضت الخير الذي وقع على يديّ فيما بينكم")[1].

ويتابع ويقول: (" والأمير لايكون أميرا حتى تكون له ثلاث حالات، يوما أسدا يصول، ويوما ذئبا يخاتل ويوما نعجة تحلب، وأراك تأسدت في يوم تَذَؤُّبكولم تستعمل مايستعمل مثلك فينزل بك مانزل بمن ساء تدبيره، وسوء التدبير سبب التدمير، كنت أرى أنك من أصلح الناس تدبيرا، والجواد يكبو والصارم قد ينبو، فإذا قرئ عليك كتابي هذا، فإن كان الصلح معلقا في السماء فطر إليه بغير جناح، وإن كان في قعر بحر فغص عليه ولو كنت غير سباح، فالخير كاسمه والشر كاسمه سيما وقد اجتمع فيه عرب بني داود وزواياهم" [2]).

---

[1]- رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار إلى أولاد داود، من دون تصنيف أو ترقيم، نسخة بحوزتنا

[2]- رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار إلى أولاد داود، نفس المصدر.

وتندرج هذه الرسالة وغيرها من الرسائلفي أدب الرسائل الذي أضحى مستقلا بذاته منذ القرن الحادي عشر (17م) في بلاد المغرب الأقصى، ثم وصل أوجه في البلاد الموريتانية مع علماء وشيوخ الزاوية المختارية في القرن الثاني عشر وتاليه، إذ أصبحت له منذ تلك الفترة حدوده وضوابطه ومناسباته.

فالرسالة إلى ذلك العهد قد أصبحت وسيلة للاتصال والمخاطبة والتفاوض والشفاعة بين الفئات المتناحرة، كما أصبحت وسيلة العلماء لتوجيه النصح وتبادل النوازل ولغيرها من المهمات، ووصل النثر عموما في تلك المدرسة وأحوازها من شرقي البلاد الموريتانية شأوا بعيدا، وهو ما يرجع بوجه رئيس إلى النهضة العلمية والفكرية التي عرفتها تلك الأصقاع، لاسيما بعض أقاليمها، كبلاد الحوض[1] وأزواد[2] في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين (18-19م)[3].

وقد مارست هذه الرسالة أثرا بالغا في إيقاف الفتنة التي حدثت في الحوض، وهي من بين عدة رسائل تهتم بالسلم الأهلي ووأد الفتن في

---

[1]- الحَوْض: البلاد التي تشمل الجنوب الشرقي الموريتاني الحالي وما يتصل به شمالا من سهل أوكار المتصلبهضبةتكانت في النطاق الشرقي الموريتاني أيضا، وما يلاصقه جنوبا من الأراضي المالية، وكانت بلاد الحوض من أهم مراكز ثقافة البيضان العالمة لوجود المدن الكبرى فيها كمدن:تيشيت، ولاتة(= ولاتا)، النعمة، ولاتصالها المبكر والدائم بالأمصار العربية الشهيرة: الحرمان، القاهرة، فاس، تلمسان...كما كانت مركز الثقافة البيضانية الشعبية من حرف وموسيقى وشعر ملحون لأن هذه إنما نشأت وتطورت في تلك الربوع منذ أيام إمارة أولاد أمبارك الشهيرة.

[2]- أزواد: البلاد التي تضم معظم شمالي مالي الحالية، وكانت مركز الزاوية المختارية ومجال انتشار العديد من القبائل البيضانية الموريتانية مثل: كُنْتَه، البرابيش، تجكانت، ..الخ. يمكن الرجوع إلى: الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 8

[3]- الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص8

أرض السيبة دأبالشيوخ الزاوية الكنتية الأزوادية على تدبيجها وإرسالها للشفاعة بين الفئات المتناحرة في بلاد البيضان وغيرها من بلاد السودان، وذلك راجع إلى خصائص فكر الإصلاح والسياسة لديهم عموما، ولدى سيد محمد الخليفة خصوصا[1].

والرسالة وإن كانت لاتقاس بنوع من الكتب في فقه السياسة والحُكم عند بعض المؤلفين الموريتانيين "ككتاب أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام"، "والرسالة الفودية" للشيخ سيد محمد الخليفة نفسه، وبعض تآليف الشيخ محمد المامي، وبعض تآليف الشيخ سيد المختار الصغير (بادي) ابن الشيخ سيد محمد الخليفة، إلا أنها تحمل أفكارا نبيلة تدخل في إطار مدرسة الحكمة السياسية، وأد الفتنة، وإيقاع الصلح بين القبائل المتحاربة.

لقد اهتم الشيخ سيد محمد الخليفة بأزمة الحوض وعمد إلى التدخل بكامل ثقله بين أطراف الأزمة وذلك عبر الإسراع في كتابة رسائل عاجلة إلى جميع الأطراف المباشرة وغير المباشرة من أجل وقف هذه الحرب مستخدما مكانته الدينية وحنكته السياسية العميقة واطلاعه الواسع على خفايا الصراع، فقد أرسل إلى جميع مراكز القوى داخل الحوض، حيث كتب إلى السلطان "محمد آماش ولد أعمر ولد أعلي".

وكتب "لهنون ولد بوسيف" زعيم أولاد الفحفاح، وكتب إلى "أبناء أحمد بن هنون العبيدي وزعيمهم سيد أحمد بن هنون"، وكتب كذلك "لسيد أحمد بن المختار زعيم جماعة فونتي"، ورسالة أخرى "لأهل بهدل من جماعة فونتي أيضا"، وقد لفت انتباههم إلى مخاطر استمرار الحرب على الحوض، حيث

[1]- نفس المصدر، ص11

اتسمترسائله بالصراحة والمكاشفة وذلك بغياب الحكمة السياسية لديهم، بسبب مواقفهم المتفرجة في الصراع بين القبيلتين، كما أرسل رسالة إلى الطرف الآخر في الحرب "لادم وحلفائهم ادغموس وجماعة أهل الطالب مصطف" في السياق ذاته، وهو وقف الاقتتال والرجوع إلى السلم.

لقد كان للزاوية الكنتية دور كبير وعميق في تحقيق التوازن بين إقليم الساحل من الطوارق والرماة البرابيش وغيرهم من بني حسان، إضافة إلى أهل الشوكة الصنهاجيين مثل ايدوعيش ومشظوف، وذلك لكبح الفساد الأهلي من خلال السعي إلى إصلاح ذات بين سراة المدن من جهة وهؤلاء وذوي الشوكة من حسان من جهة أخرى.

ولم يكن دورها مقصورا على وظيفة التحكيم التي درسها رواد النظرية الانقسامية التجزيئية في أبحاثهم حول دور المرابطين والصلحاء في المغرب، بل كان أوسع مدى وأقوى فاعلية، وهو ما تكشف عنه رسائل الشيخ الكنتي الكبير إلى المعنيين.

وقد تراوحت علاقة الزاوية الكنتية مع مختلف قبائل بني حسان بين التحكيم والشراكة الفعلية الناتجة عن تحول إلى مستوى أعلى من دور قبائل الزوايا التي ظلت تبسط رداء المشروعية على رؤساء حسان، إلى مشاركة مباشرة في تولية الأمراء والرؤساء، من خلال التدخل في صراعات البيوتات الأميرية وخلق آليات التوازن بين القوى الحسانية من أزواد إلى تكانت فالحوض والشمال[1].

[1]- حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي في موريتانيا، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008 م، صص 349 -352

قائمة المصادر والمراجع

1- الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار، الرسالة الغلاوية، دراسة وتحقيق: حماه الله ولد السالم، منشورات أمربيه رب لإحياء التراث والتبادل الثقافي، دار المعارف الجديدة، الرباط ، 2007م.

2- الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، الطرائف والتلائد في كرامات الوالدين الوالدة والوالد، مخطوط، الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم .690

3- الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، جنة المريد دون المريد، تحقيق:محمد المهداوي، منشورات الرابطة المحمدية ، 2012م.

4- الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي بن أحمد، رسالة إلى رئيس أولاد داود، مركز الشيخ سيد المختار للوثائق بكَاو، جمهورية مالي.

5- الشيخ سيد المختارالصغيرالملقب (بادي) بن الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة العلوية، تحقيقسيد أحمد ولد أحمد السالم، نواكشوط، 1994م.

6- أبوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور في ذكر ماأهمله صاحبفتح الشكور، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي.د.ط.

7- أحمد طالب بن طوير الجنة، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد ولد أحمد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1995م.

8- المختار ولد حامد، موسوعة موريتانيا، الجزء السياسي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 2000م.

9- حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي في موريتانيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 ،2008م.

10- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان، ط 17 ، 2007م.

11-ابن أنبوجة التيشيتي، ضالة الأديب، دراسة وتحقيق:أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1996.

12- بول مارتي، كنتة الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد ثابت، دمشق، 1985م.

13- بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحلالموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السراج، بيروت، لبنان، 2005م.

14- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس ، 1987م.

15- مجموعة من المؤلفين، حوليات ولاتة، تحقيق سيد عبد الله بن البخاري، جامعة نواكشوط ، 1992م.